وقفات مع كتاب " ابن جني النحوي"

دراسات في كتب اللغة

الأستاذ المشارك الدكتور دوكوري ماسيري
قــسم اللغة العربية
كلـــــية اللغات والألسنية
جـــامعة المدينة العـــالمية
شـــــــــــــــاه علم
مـالـيـزيا
doukmas@yahoo.fr

Assoc. Prof. Dr. Doukoure Massire
Department of Arabic Language
Faculty of Languages and Linguistic
Al-Madinah International University
Shah Alma, Malaysia
doukmas@yahoo.fr

قــراءة مقدمتــه، أنّه كــان يهــدف من وراء هـــذا البحث: "اســـتخلاص منهج أبي الفتح النحــــــوي عن طريق جمع نظرياته النحوية المبثوثة في ثنايا أمّات الكتب النحوية".

2. *منهج البحث:*

لم يوضّح الباحث المنهج الذي ســوف يتبعه في هـــــذه الدراسة؛ وهـــــذه الظاهرة تكثر في المقالات المنشورة العربيـــــــة؛ لظنهم أنّ منهج الدراسة تكــون واضــحة من خلال تقســيمات البحث؛ لكن الصــحيح الــذي ترتضــيها الأدبيـــــات العلمية في البحث العلمي عدم إغفال -بحال من الأحوال- عنصر منهج البحث.

3. *محتويات البحث:*

بــدأ دراســته بمقدّمــة، تتلوها مباشــرة ثمانية أبـــواب، ومن ثم خاتمـــة؛ وقد تطرق إلى حديث مفصّل عن:

(1) تاريخ النحو إلى عصر ابن جني.

(2) أصــول الاســتدلال اللغــوي عند ابن جــني، وجهــوده في مجــال أصــول النحو.

(3) أثر علم الكلام والفقه في علـــــوم النحو.

(4) نظرية العامل لدى ابن جني.

(5) منهج ابن جـــــــــني العقلي في مؤلفاته.

(6) دراسة تطبيقية لنمـــــــــــاذج من موضوعات نحوية وإعرابيــة، وآرائه ابن جني اللغوية.

4. *نتيجة البحث*

ذكــر البــاحث في خــاتم البحث عشــر نتائج، استخلصه بشكل عــام من نظــرة أبي الفتح النحويــة؛ وهــذه النتــائج في مجملها تدور حول الموضوعات التالية:

- **في أصـــــول الاســـــتدلال النحوي؛ ذهب الباحث إلى:**

(1) أن ابن جــني على مــذهب ســائر النحــــــــــاة في ردّ طائفة من القــراءات، وتضــعيفها وتخطئتهــا، وأنه لا يــرى الاستشــهاد بالحــديث إلاّ من باب الاستئناس برأي مقرّر عنده، وأنّه على مـذهب البصــريين في الاستشــهاد بــالمتواتر من كلام العرب الفصيح من شعر أو نثر.

(2) أنَّ كتـــــاب الخصـــــائص من كتب أصول النحو؛ ألفه ابن جني لتثبيت دعــائم هــذه الأصــول على طريقة الفقهاء والمتكلمين.

(3) أنّ ابن جني يرى أنَّ العرب كــانت تلحظ بعض هذه الأصــول والعلــل، وأنّه تــأثر بمـــذهب الاعـــتزال في بعض تحليلاته في أصول النحو.

(4) أنّ ابن جني كــان بصــريا، ولم يكن كوفيا ولا بغداديا.

- **فيما يتعلق بمســــــــتويات الدرس اللغوي؛ أقرّ البحث:**

(5) عراقة الدراســـــات الدلالية في التراث العربي.

(6) أصـــــالة علم الأصــــوات في الدراسات العربية.

(7) أثر الدراسة الصـــــوتية في تحديد المعنى.

(8) الملامح التمييزية للنـــــبر والتنغيم في إظهار المعنى الدلالي.

(9) يتغير المعنى بتغير الصيغ الصــوتية وهو ســبب من أســباب تطــوير اللغة.

(10) انفـــــراد اللغة العربية بظـــــاهرة الاشتقاق عن بقية اللغات

5. *آراء حول البحث:*

يعـدّ هـذا الكتـاب الـذي ألفه الـدكتور فاضل السامرائي من أوائل الدراســات المعاصــرات الــتي اســتهدفت كشف النقاب عن جهود هذا العالم الجليل ابن جني. وهذا الكتـاب رغم ما له من قيمة علمية قوية إلا أني وجــــدتُ فيه بعض الملحوظــات الــتي لا تقلّل من شــأن الكتــاب، وخاصّــة إذا عرفنا أنّ هـــذا الكتــــاب لا يمثل مرحلة نضج العلمي لــدى المؤلـف؛ حيث ألّفه كرســالة في مرحلة الماجســتير، وإلا فلست أهلا أن أحكمَ على هــذا العــالم الجليل الــذي مازالتْ لَمَساتُهُ القويَّةُ بائنةً في بســاط الــدرس اللغــوي المعاصــر؛ ولعل أهمّ الملحوظات:

(1) اســتهدف البحث دراسة جهــود ابن جـــني النحـــوي؛ كما دلّ على ذلك عنـــوان الكتـــاب، لكن عند الاطلاع على الجـــوانب الـــتي ركّز عليها الـدكتور وجـدنا أنهّا تمحـورت حـول أصــول النحو أكــثر من المســائل النحويــة؛ ولا أدل على ذلك نتــائج التي أوردها السـامرائي، والـذي بلغ عــددها 12 نتيجــة، فنتيجة رقم: 1-9 تتعلق بأصول النحو مباشرة، وكانت نتيجة رقم 10 متعلقة ببعض قضــايا في أصــول اللغــة، ونتيجة رقم 11 تحــدث فيها عن المــدارس النحوية والمدرسة الـتي اختارها ابن جــني، وفي رقم 12 فقط أشــار بشــكل ســريع إلى المســائل النحوية من دون تفصــيل؛ فقــال: "نســبت إليه أراء نحوية وهمــــا، ونبّهنا عليها في أماكنها" فكأن الدكتور السامرائي لا يرى قيمةً في ذكر مقدار هذه الآراء المنسـوبة، هل هي كثـيرة أو قليلـة، وكيف تمت هــذه النســبة، هل هي عن طريق الخطــأ، أو قد تكـــون منســـوبة إلى ابن جـــني في بعض مؤلفاته المفقـــودة، ونحو ذلك من الاحتمالات....

(2) أنّه بنــاء على المحــاور الــتي ركز عليها الــدكتور الســامرائي، والــتي أشــرتُ إليه آنفا فــوق فقــرة رقم1 فـإن عنـوان الكتـاب واسـع، لا يُعبِّر بدقة عن هـــذه المحـــاور؛ وكـــان المفـــترض -والله أعلم- أن يكـــون عنوان الكتاب متعلقا بأصول النحــو، وهو فـــرع من علـــوم اللغـــة؛ حيث يفـــرّق المتخصصـــون بينه وبين المســائل الفرعية في النحــو؛ فلو كان العنــوان (أصـول النحو عند ابن جني) لكان معبرا قويا عن المحــاور

التي ركز عليها الدكتور السامرائي، لكن قد يمكن الردّ على هذه الملحوظة بأن الدكتور السامرائي اختار المفهوم العام للنحو.

(3) أنّه في عرضه نتائج البحث لم يراع الترتيب العلمي كما كان في نتيجة رقم: 3-1 ونتيجة رقم (4)، فكان المفترض أن يقدّم رقم (4) لأنّه حديث عن أصول النحو بشكل نظري عام، ونتيجة رقم (3-1) حديث تطبيقي عن موقف ابن جني عن أصل واحد فقط؛ وهو السماع أو النقل؛ فرقم (1) حديث عن القراءات القرآنية، ورقم (2) حديث عن الأحاديث النبوية، ورقم (3) حديث عن كلام العرب شعرا أو نثرا.

(4) أنّه في عرضه نتائج البحث فرّق بين نتائج متشابهة، كان بإمكانه إدراجها في نتيجة واحدة حسب رأيي المتواضع؛ كنتيجة رقم (8)، ونتيجة رقم (9)، فكلتاهما حديث عن عقليته التعليلية، إلاّ أنه أضاف في الثاني رقم (9) بعد النظريات النقدية لجوانب التعليل عند ابن جني.

(5) أنه في عرضه بعض النتائج لم يستند إلاّ على مثال واحد، لا يمكن اعتماده في توضيح عقيدة شخص بعينه؛ فقد استدل الدكتور على استخدام ابن جني مبادئ عقيدته الاعتزالية في توجيه أصل من أصول النحو، وقد اكتفى الدكتور بذكر مثال واحد؛ وهو (الحكم يقف بين الحكمين)، ولا أدري هل ثمة أمثلة أخرى، أو أنّ الدكتور يرى أن هذا المثال يكفي لإثبات أثر عقيدته في بعض تحليلاته.

المراجع والمصادر:

[1] سيبويه، عمرو بن عثمان. *الكتاب كتاب سيبويه ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر*. Vol. 4. دار القلم،, 1977.

[2] ابن جني، عثمان ابن جني (أبو الفتح)، تح محمد علي النجار. *الخصائص*. المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

[3] asanHindāwī, Ḥ. *سر صناعة الإعراب*. Vol. 1. دار القلم،, 1985.

[4] جلال الدين السيوطى. *الاقتراح*. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان: ط 1418هـ-1998م.

[5] جلال الدين السيوطى. *المزهر فى علوم اللغة وانواعها (جزء 1-2)*. Kotobarabia. com, 1968.

[6] ماسيري, and د/دوكوري. "الحوسبة اللغوية (مفاهيم وأبعاد)." *ALMADINAH ISLAMIC STUDIES*1.66 (2013).

[7] http://www.ta5atub.com/t1745-topic (آخر تاريخ الدخول: 31/10/2012).